هرمس في التراث اليوناني

جاء في كتاب الفكر اليوناني أو الأدب الهيليني تأليف محمد غلاب طبعة أولى مصر ج1 مايلي:

نشيد إلى هرمس (وهو رقم 3 في المجموعة)

يتغنى الشاعر في هذا النشيد بتاريخ مولد هرمس رسول الآلهة ونشأته ومواهبه وصفاته، فيحدثنا أن زوس وإحدى صغيرات الإلاهات مايا[1]، ينجبانه ويكون ذلك في كهف مظلم حتى لاترى، هيرية، خفة زوجها وخيانته.

وإذ تضعه أمه تظهر عليه في الحال الدقة والفصاحة والقدرة على قيادة الأحلام والرؤى وإرسالها إلى من شاء متى شاء، ولكنه في الحال أيضاً يظهر عليه الميل إلى اللصوصية.

يولد في الصباح فلا يأتي الظهر حتى يعثر على سلحفاة فيخطر له أنها لازمة لموسيقاه التي يهيم بها، فيقتلها ويصنع من ظهرها القيثارة الأولى التي يظل يغني عليها حتى يسمو بالموسيقى إلى درجة الكمال. وعلى أثر ذلك يهجر الكهف ويجول في الجبال والوديان. وعند غروب الشمس يتجه إلى الجبل الذي تقيم عليه ثيران الآلهة، فيسرق منها خمسين ثوراً وبقرة هي ملك لأبولون رامي السهام، ولكنه يستخدم لإخفاء هذه السرقة حيلة غريبة، إذ يجعل الثيران تسير إلى الخلف أي بعكس سيرها الطبيعي حتى يخفي معالم آثار أظلافها.

وبعد أن يتمم هذه المهمة يعود إلى الكهف فيزمل نفسه في لفافات الأطفال، وينام في المهد نومة الطفل النقي البريء لايعرف من آثام الحياة كبيراً ولا صغيراً.

وفي صباح اليوم التالي يفتقد أبولون ثيرانه فلا يجدها، فيقوم بتحقيق في مصيرها فينبئه أحد الشيوخ بأنه رأى طفلاً يدفع قطيعاً ويسيره تسييراً منعكساً، وعلى أثر سماع أبولون هذا الوصف يرتاب في الأمر ويتجه إلى كهف مايا، فيرى الطفل نائماً في المهد فيسأله على الثيران فينكر ويحتج بشدة قائلاً:

«يابن ليتو، أي كلام جاف ذلك الذي توجهه إلي؟ لماذا أنت جئت إلى هنا تبحث عن أبقارك؟ إني لم أر شيئاً ولم أعلم شيئاً ولم أسمع أي حديث عنها، ولاأستطيع أن أقول لك عنها شيئاً، وبالتالي لست أنا الذي سأربح مكافأة العثور عليها. أنا لاأشبه رجلاً قوياً قديراً على سرقة الأبقار، وليس هذا عملي، وعندي هموم أخرى، فأنا أنشغل بالنوم وبلبن

(1) مايا هي ابنة بابينوس، وهو أحد التيتانوس.

والدتي وبوضع اللفافات حول كتفي، وبالاستحمام بالماء الفاتر. إحذر أن يسمعك أحد وأن يتبين سبب هذا النزاع، فإنه سيكون من الأمور الخارقة للعادة بين الآلهة أن يقال: إن طفلاً حديث الولادة سرق ثيراناً. أنت تتحدث الآن كالمعتوهين، فأنا ولدت أمس، وقدماي رقيقتان، والأرض خشنة».

ولكن أبولون لاتنطلي عليه هذه الحيلة ولايصغي لشيء مما يقول ويظل مصمماً على اتهامه إياه فيقتاده إلى والده ويقص عليه الحادثة، ويروي له ماأنبأه به الشيخ قيصر ـ هرمس على إنكاره، غير أن زوس الذي يعلم الحقيقة يسر من لباقة هذا الإله الوليد وذكائه[1]، فيحرص على أن يزيل سوء التفاهم الذي وجد بينه وبين أبولون، فيأمر بأن ترد الثيران والأبقار إلى صاحبها. ولما كان هرميس قد ذبح منها اثنين فإنه يهدي إلى أبولون قيثارة السلحفاة ويعلمه التوقيع عليها فيسر بذلك سروراً عظيماً، ويستقسمه ألا يعود إلى السرقة بعد الآن، فيقسم له. وبهذا يصبح صديقاً ويكل إليه رعاية جميع ثيرانه.

وقد ورد ذكر هرمس في إلياذه هوميروس، فاخترت هذا الفصل (فدية هكطور) كمثال على هرمس في التراث اليوناني، وذلك كما جاء في الترجمة العربية لعنبرة سلام الخالدي.

فدية هكطور

لما انتهى دفن فطرقل، عقد الأرباب مجلساً يبحثون فيه أمر هكطور، فقد ازدرى أخيل بجثته يجرها حول قبر صاحبه، وأشفق الأرباب على القتيل، فهو لم ينفك أبداً في حياته عن تقديسهم.

ولذا أرسل زفس إلى ثيتيس، ولما أتت الأولمب قال: «اذهبي الآن إلى المخيم، واطلبي إلى ولدك أن يرجع هكطور بفدية، وخبريه أرسلني زفس لأقول لك اذهب واحمل معك من الهدايا القيّمة مايرضي، ووجدته يبكي صاحبه بهدوء، وقد نفدت سورة حزنه، فهو كاظم له، وقالت: «إن إرادة الآلهة أن تسلم جثة هكطور لقاء فدية من الذهب والنفائس، يقدمها إليك أبوه».

---

(1) ومنذ ذلك العهد يعينه زوس إلهاً للصوص والتجار لاحتياج كل من هاتين الطائفتين إلى الحيلة والخداع لقرب كل منهما من الأخرى في نظر الهيلين.

فأجابها ابنها: «ليكن ماتشاؤه الآلهة» ثم إن زفس أرسل إيريس رسولاً إلى الملك فريام، فألفته جالساً وقد أخفى وجهه بوشاحه، وحوله أبناؤه ينتحبون، أما بناته فيندبن في مخادع قصره.

فقال إيريس: «هدئ من روعك يافريام بن دردانس، فقد أرسلني زفس لأقول لك اذهب واحمل معك من الهدايا القيمة مايرضي قلب أخيل، وارجع بجثة ولدك العزيز هكطور. إذهب ولاتخف أو تخش الموت والأذى، واذهب وحدك. واصحب معك رسولاً هرماً يعينك عند إيابك على حمل جثة القتيل».

فنهض فريام جذلاً، وطلب إلى أبنائه إحضار مركبته، ولكنه ذهب أولاً إلى مخدعه، ونادى زوجته إيقاب وأخبرها بعزمه، ولم ينثن عنه حينما حاولت إرجاعه، بل قال: «لاتجربي إرجاعي، ولاتكوني طائر شؤم في منزلي، ولو كان الذي طلب إلي أن أفعل ذلك عرافاً أو منبئاً لظننتها خدعة. أما وقد سمعت الآن صوت رسول زفس بإذني فسأذهب. وماذا يهمني إن مت؟ وليفتك بي أخيل، فيتاح لي أن أعانق جثة ولدي مرة أخرى. «ثم طلب أن تتهيأ مركبة، فيها الشملات والدثارات التي لم تغسل قط، ثم البسط، والجلاييب، والأقبية، يوضع من كل منها اثنا عشر ثم عشر وزنات من الذهب، ومرجلان بهيان لهما قوائم ثلاث، وأربعة سيوف، وكأس ليس لجمالها نظير، كان قدمها إليه أهل ثراقة. ولم يبخل الرجل العجوز بشيء في سبيل إرجاع ولده. ولم يكن يحتمل قرب أحد من الطرواد فصاح بهم: «ابتعدوا عني أيها الجبناء. أليس لكم من تندبونه في بيوتكم حتى أتيتم إليَّ تندبون؟ حقاً لقد أصبحتم الآن فريسة سائغة للإغريق، وقد مات هكطور. «ثم نادى أبناءه بما يشبه كلمات الغضب، فدعا فاريس وأغاثون وذيفوب والباقين - وكانوا جميعاً تسعة - ناداهم قائلاً: «هلموا يانسل السوء. ليتكم متم جميعاً في غرفة هكطور، ولاريب في أنني سيئ الحظ، فقد كان لي كثير من الأبناء والأبطال، مثل مسطور وإطرويل ثم هكطور، الذي كان أجمل بني البشر طُراً. ولكن جميع هؤلاء ذهبوا، ولم يبق منهم إلا الجبناء الذين برعوا في ثرثرة الكلام، ومهروا بالرقص، وبرزوا في شرب الخمرة، فاذهبوا وشدوا البغال إلى العربة».

وهكذا قرنوا البغال إلى العربة، أما مركبته، فقد شد فريام إليها الجياد، يساعده رسوله.

ثم اقتربت إيقات، وطلبت إلى إحدى الوصائف أن تصب الماء على يديه، ولما فعلت

أخذ الملك فريام كأساً من يد امرأته، وخاطب زفس متوسلاً:

- «أجب دعائي ياخالق البشر! وهب أخيل الرحمة بي، وأرسل إليَ الآن رمز يمن، أذهب معه إلى سفن الإغريق بقلب رضي».

فسمع زفس دعاءه، وأرسل إليه نسراً هائلاً، مد جناحين متسعين كاتساع باب مخدع باب رحب في قصر رجل ثري. وذهب الطائر إلى يمينه فوق المدينة، وابتهج الجميع لمرآه.

وأسرع الشيخ يمتطي مركبته تاركاً القصر، وأمامه البغال تجر العربة ذات العجلات الأربع، يقودها الرسول إيذيس. أما مركبته هو فقد ساقها الملك العجوز بذاته ومشى معه آل بيته جميعاً، ينتخبون كما لو كان ذاهباً إلى الموت. ولكنهم لما بلغوا السهل من المدينة، توجه فريام والرسول نحو سفن الإغريق، أما الباقون فرجعوا إلى طروادة.

ورآه زفس متوجهاً إلى السفن، فقال لهرمس: «اذهب ياهرمس إلى الملك فريام، وسر به إلى سفن الإغريق، لكي لايراه منهم أحد قبل أن يبلغ خيام أخيل».

فشد هرمس نعليه الذهبيتين الجميلتين إلى قدميه، وطار بهما بسرعة الهواء فوق البحر والأرض، وأخذ بيده قضيباً يفتح به عيون البشر ويغمضها كما يشاء. وانحدر إلى أن حط في سهل طروادة، متخذاً شكل يافع جميل.

ولما بلغ المسافران قبر إيلوس العظيم، أوقفا الجياد والبغال لتشرب من ماء النهر. وقد خيم الظلام على الأرض، وعندها بصر بهرمس، فقال:

- «فكر ياسيدي بما يجب أن تفعل، فإني أرى رجلاً، وإنني لجزع أشد الجزع، خشية أن يفتك بنا، فهل نهرب في المركبة، أو نقترب منه، ونستعطفه عله يرأف بنا؟» فبلغ من الشيخ الاضطراب أشده، وقف شعر رأسه ذعراً، ولكن هرمس اقترب منه، وأخذ بيده، وقال:

- «إلى أين تذهب أيها الشيخ بجيادك وبغالك في هذا الظلام الدامس، ألا تخشى شراسة هؤلاء الإغريق القريبين منك؟ وماذا يحدث لو رآك أحد بما معك من ثروة؟ وأنت لست في شرخ شبابك، وليس تابعك فتياً حتى تقدرا أن تدفعا عن نفَسيْكما شر عدو طارئ، ولكنني لن أَمَسَّك بأذى، ولن أسمح لأحد أن يؤذيك، لأنك لي بمنزلة الوالد العزيز».

فقال الشيخ:

ـ «حسناً ياولدي، ولاريب في أن أحد الآلهة الأبرار يشدّ أزري، فأرسل للقائي رجلاً مثلك رائعاً حكيماً، فهنيئاً لوالديك بما أنجبا».

فقال هرمس: «أفضِ إليَّ بحقيقة الأمر أيها الشيخ، فهل أنت ذاهب بهذه النفائس لتحفظ لك في مكان بعيدَ أمين؟ أم إن رجال طروادة جميعاً يخلون بلدهم بعد أن رأوا هكطور أبسل أبطالهم قد مات؟».

فأجاب فريام: «من أنت يابني. وإلى أيّ أمة تنسب، حتى تتكلم بهذه الحقيقة عن ابني المنكود؟» فقال هرمس: «لطالما رأيت هكطور في المعركة، رأيته في أوقات متباينة، وأبصرته يوم ساق الإغريق أمامه نحو السفن، فقد كنا نقف حقاً، نراقب ونعجب به، لأن أخيل لم يكن يسمح لنا بالقتال لحنقه على الملك أغاممنون. والآن فإنني أحد رجال أُخيل، وقد قدمت من اليونان معه بسفينته. فأنا إذاً أحد المرامدة، وأبي هو فليقطور، وهو شيخ مثلك له ستة أبناء غيري، ولما اقترعنا على القدوم للحرب وقع الأمر علي. أما الآن فاعلم أن الإغريق ينظمون صفوفهم للقتال لمهاجمة المدينة في الصباح، فقد ملوا المقام ولايقدر الملوك على إرجاعهم».

فقال فريام: «اصدقني الخبر مادمت لأخيل تابعا. ألا يزال ولدي عند السفن أم نهشته الكلاب؟».

فأجابه هرمس: «لم تنهشه كلاب ولاعقبان، ولكنه لايزال ملقى عند سفن أخيل، ومع أن اليوم هو الثاني عشر لقتله، فلم يدب فساد إلى جسده. بل إن أخيل ليجره حول قبر حبيبه فطرقل، ومع ذلك فإن ملامحه لم يعرها شين، ولايزال نضراً، وقد غسلت عنه الدماء، واندملت منه الجراح، إذ نفذت فيه كثير من رؤوس الحراب. ولكن الآلهة الأبرار قد حبوه بالإكرام ولو كان ميتاً».

فطابت نفس الملك فريام لما سمع، وقال: «ماأحسن مايكرم الرجلَ الأربابُ. وحقاً أن ولدي لم ينس قط ساكني الأولمب، ولهذا فإنهم لم ينسوه حتى في مماته. فخذ مني الآن هذه الكأس الجميلة؛ وقدم لأجله صنيعاً بأن تدلني على خيمة أخيل». فأجابه هرمس: «كلا إن هذا لايكون، فلن آخذ من يدك هدية أخفيها عن أخيل، وله عندي كل إجلال، ومحال أن أسلبه، فينالني الشر فيما بعد، أما أنت فسآخذك إلى أرغوس ذاتها إذا شئت، براً كان أو بحراً، إذ لاتثريب علي في صحبتك». ثم قفز إلى مركبة الملك، وقبض على الأعنة بيده،

ونفخ في روع الجياد والبغال قوة، لم يكن لها بها عهد من قبل. ولما بلغوا القناة والخندق اللذين يحفظان السفن، هنالك كان الحراس قد شغلوا بطعامهم، فألقى عليهم هرمس النوم، ثم فتح الأبواب، وأدخل فريام ومامعه من نفائس، ولما وصلوا إلى خيمة أخيل، ترجل هرمس من المركبة، وقال: «هاأنا ذا هرمس الذي أنفذه أبوه زفس إليك، ليكون لك دليلاً، وسأرجع الآن، فلا أبغي أن يراني أخيل. بل ادخل أنت إليه، وتمسك بركبتيه، وناشده بأبيه وأمه وولده، فتحرك قلبه شفقة عليك».

ثم توارى هرمس صاعداً إلى الأولمب، وقفز الملك فريام من مركبته، وترك رسوله لدى الجياد والبغال، يحرسها، وتوجه إلى الخيمة. هنالك وجد أخيل بين صحبه، وقد جلسوا بعيداً عنه، وقام اثنان على خدمته، إذ كان لم يفرغ من تناول طعامه بعد. ولم ير أحد منهم الملك فريام إلا بعد أن اقترب من أخيل، وأمسك بركبتيه يقبل يديه، هاتين اليدين المخيفتين السفاكتين اللتين قتلتا الكثير من أبنائه، وكقاتل ارتكب جريمة فهرب إلى بلاد غريبة والتجأ إلى منزل أحد الأغنياء، فدهش الجميع لرؤيته، هكذا دهش أخيل لرؤية الملك فريام، وهكذا دهش صحبه، وهم ينظرون بعضهم إلى بعض. ثم تكلم الملك فريام، فقال:

- «أذكر أباك ياأخيل ياصنو الآلهة وارث لحالي، أذكره فهو شيخ مثلي، ولعله يلقى الآن بعض العنت من جيرانه، إذ يرون أن لانصير له. وهو لايزال بخير، مادام يعلم أنك على قيد الحياة. فإن الأمل ليحدوه في كل يوم لرؤية ولده الحبيب، يعود من طروادة. أما أنا فإنني شقي بائس، فقد كان لي كثير من الأبناء الأبطال - وقد رزقت منهم تسعة عشر من أم واحدة - فقتل أكثرهم، كما أنك فتكت بذاك الذي كان أفضلهم جميعاً، والذي كان يحفظ مدينتنا من الدمار، ولأجله أتيت الآن أقدم الفداء، فارحمه وارحمني واذكر أباك، ولم يؤت أحد من الشقاء ماأوتيت، وذلك بأن أقبل اليدين اللتين فتكتا بولدي».

فأشجت هذه الكلمات قلب أخيل، وبكى وهو يذكر فطرقل مرة ويذكر أباه الشيخ في بلده مرة أخرى، وبكى فريام، وهو يذكر هكتور القتيل. ونهض أخيل أخيراً من مجلسه، وأنهض الملك فريام، وقد استدر شفقته رأسه الأبيض ولحيته الناصعة، وقال:

«كيف جرؤت على القدوم إلى سفن الإغريق، إلى الرجل الذي فتك بأبنائك؟ لاريب في أن لك قلباً قد من حديد. فاجلس الآن، ودع أحزاننا تقيم في قلوبنا، فلا فائدة من

النحيب، وإنها لإرادة الآلهة أن يكابد البشر المصائب، بينما يبقون خالين من الهموم. وهنالك على جانبي زفس أبي البشر صوانان، أحدهما لخير العطاء، والثاني لشره، وهو يمزج قسمة البشر آخذاً من كليهما. وقد اجتبى الأرباب الملك فيلا بكثير من أكرم العطاء، فوهبوه من المال والبركة ما يفوق قسمة البشر، ثم ملكوه على المرامدة. بل منحوه فوق هذه إلهةً تكون له زوجاً، ولكنهم منحوه السوء أيضاً حينما ضنوا عليه بعدد من الأولاد الأشداء في بيته. فلم يهبوه غير ولد وحيد، وهاأنا لاأقدر أن أعينه في شيخوخته. بل أقيم هنا بعيداً في طروادة. وأنت أيها الشيخ لك الثروة وقوة الشيخوخة، ولك السيادة على كل مايمتد بين لسبس وفريجيا ونهير هلاسبون. ولك أعطت الآلهة هذا الشر بأن يكون دائماً لدى أسوار مدينتك قتال وسفك دماء. أما ابنك فلا تنتحب عليه، لأنك لن تقدر على إحيائه».

ولكن فريام أجاب: «لاتطلب إلي الجلوس ياأخيل الجبار بينما يطرح هكطور مرذولا، فدعني أفتديه وأنظره بعيني، وتقبل مني هذه الهدايا. ولتمنحك الآلهة الرجع سالماً إلى ارض آبائك».

ولكن أخيل قطب، وقال: «لاتثر غيظي، فلقد أجمعت نفسي على إرجاع هكطور إليك، وأتتْ أميّ من أعماق البحار، تحمل إلي أمر زفس، ولا أظنك أتيت إلي إلا بتوجيه من الآلهة، فلا تقلقني بعد، لئلا يصدر عني بعض مايؤذيك».

فسكت الملك فريام، وسكن روعه، وأسرع أخيل من خيمته، ومعه اثنان من صحبه، فحلوا أولاً وثاق الخيول عن المركبة، والبغال عن العربة، وأدخلوا الرسول إيزيس، وأخذوا الهبات، ولكنهم أبقوا منها معطفين ودثاراً يلفون بها الميت. ثم طلب أخيل إلى النساء أن يغسلن الجسد، ويطيبنه بعيداً عن الخيمة، فقد يرى فريام ولده فيصرخ، فيهيج الحقد والغضب في قلبه.

وعندما غُسِّل وطُيِّب، حمله أخيل بين ذراعيه، ووضعه على النعش ثم حمل صحبه النعش إلى العربة، ولما انتهى الأمر أنَّ أخيل، ونادى صديقه الميت قائلاً: «لاتغضب يافطرقل إذا سمعت في تلك الأرض المجهولة بأنني قبلت الفدية عن هكطور من أبيه، فقد افتداه فداء جميلا، وستنال أنت سهمك اللائق».

ثم رجع إلى خيمته، وجلس قبالة فريام. «لقد افتدي ابنك أيها الشيخ، وستراه غداً،

وترجعه إلى طروادة. أما الآن فدعنا نأكل. ألم تأكل نيوبا حينما فقدت أولادها الاثني عشر. ست بنات وستة صبيان غر ميامين قتلهم أفلون وأرطميس ـ أفلون قتل هؤلاء وأرطميس قتلت أولئك ـ لأنها شبهت نفسها بلاطونة الحسناء، فدعنا إذاً نأكل أيها الشيخ، وستبكي هكطور غداً وأحسب أن دموعاً كثيرة ستنهمر عليه».

وهكذا أكلوا وشربوا، ولما انتهى الطعام، جلس أخيل يعجب بما عند فريام من نظر سام نبيل، كما جلس فريام يعجب بما لأخيل من قوة وجمال.

ثم قال فريام: «دعني أنم ياأخيل الجبار، فإنني لم أذق طعم النوم منذ صرع ابني بيديك، أما الآن فقد أكلت وشربت وثقلت جفوني». فأقام له صحب أخيل فراشاً خارج الخيمة، لكي لايراه من عسى أن يأتي الخيمة من الزعماء لمشورة، فيخبر الملك أغاممنون بأمره.

ولكن الملك فريام قال قبل أن ينام: «إذا كنت ترغب في أن تدعني أدفن هكطور، فلتكن بين قومي وبين الإغريق هدنة، فنندب هكطور تسعة أيام وندفنه في اليوم العاشر، ونقيم للشعب وليمة، ثم نجعل فوقه قبراً عظيماً في اليوم الحادي عشر، ونعود في اليوم الثاني عشر إلى القتال، إذا كان لابد من القتال».

فأجاب أخيل: «فليكن ماتريد. وسأوقف الحرب كل هذه المدة».

وبينما كان فريام نائماً أتاه هرمس رسول زفس. وقال: «أتنام يا فريام في وسط أعدائك؟ لقد قبل أخيل الفدية عن هكطور، ولكن أبناءك الباقين سيدفعون ثلاثة أضعاف لأجلك، إذا ماعلم أغاممنون بوجودك بين السفن». فسمع الشيخ ذلك، وارتجف رعباً، وأيقظ رسوله، وشدا الجياد والبغال ومرا بين الجيش لايعلم بهما أحد، ولما بلغا النهر، ذهب هرمس إلى الأولمب، وأنار الصباح أرجاء الأرض، وحملا الجثة إلى المدينة بالبكاء والنحيب.

وكانت كسندرا أول من بصر بهما عند مجيئهما، فقد رأت أباها، ثم الرسول، ثم رأت جثة الميت فوق النعش، فصاحت تقول: «ياأبناء طروادة وبناتها اذهبوا للقاء هكطور إذ طالما ذهبتم قبلاً للقائه جذلين عند عودته من القتال».

ولم يتخلف أحد في المدينة، بل خرجت بنسائها ورجالها، فلاقوا العربة عندما حاذت الأبواب ومشت أمام الجموع امرأته، تتبعها أمه والجمع المحتشد، وحقاً لقد كان بودهم أن

يبقوه هناك إلى المساء باكين منتحبين، ولكن الملك فريام قال:

«دعونا نمر، وسيكون لكم ماتشاؤون من النحيب عندما نأخذه إلى بيته».

وهكذا أخذوه إلى بيته، وأسجوه على فراشه، وقام المنشدون يندبون، والنساء تنتحب. ثم أتت قبل الجميع زوجة أندروماخ تعول وتقول:

ـ «إيه زوجي لقد هلكت وأنت في ميعة شبابك، وتركتني للأيْم. أما ولدي! ولدك وولدي فلا يزال طفلاً. وأخاف أن لايدرك الشباب، فستسقط هذه المدينة قبل ذاك وقد ذهبت عنها، وأنت حامي ذمارها، وسيحملوننا قريباً أمهات وأطفالاً إلى السفن. وستكون أنت ياولدي معناه تقوم على خدمة الغريب في أسْر شائن. ولعل أحد الإغريق يصرعك ثم يمسكك ويقذف بك من فوق السور. أجل أحد الإغريق الذين قتل لهم هكطور في الحرب أباً، أو ابناً، أو أخاً، وقد قتل هكطور منهم الكثيرين، ولم يكن لين اليدين في العراك، ولهذا ينتحب القوم لأجله اليوم. وإن فجيعة والديك لشديدة ياهكطور! ولكن فجيعتي أدهى وأشد! وأنت لم تمد لي من فراشك يدَ وداعٍ، ولانطقتَ بكلمةِ تأسٍ أستغرق في تدبر معناها وأنا أبكيك ليل نهار».

ثم تكلمت أمه إيقاب تقول: «لقد كنت يابني عزيزاً على الآلهة الخالدين في حياتك؛ أثيراً عندهم في مماتك، وعلى الرغم من أن أخيل كان يجرك حول قبر حبيبه فطرقل، فإنني أحسب أنه لم يقدر على إحيائه. وهاأنت الآن ترقد نضراً جميلاً، كرجل ضربه الإله ذو القوس الفضية ضربة مفاجئة فقتله». وأتت آخر الجميع هيلانة، فقالت: «لقد مرت سنون كثيرة منذ قدمت طروادة ـ ويااليتني مت قبل ذاك وكنت نسياً منسياً ـ ولم أسمع قط من شفتيك كلمةً مُرَّةً، بل كنت إذا ماسلقتني أخت الزوج و امرأة الأخ أو الحماة بكلمة قاسية ـ إذ إن فريام كان رفيقاً بي كأب ـ كنت ياهكطور تزجرهنّ برقتك، ورشيق كلماتك، ولهذا أبكيك. ولم يبق لي في كل شوارع طروادة الفسيحة من صديق، بل كلهم لي الآن كاره شائئ» وناح القوم جميعاً. ثم تكلم فريام فقال:

ـ «اذهبوا الآن ياقومي، واجمعوا الحطب لدفن هكطور، ولاتخشوا من الإغريق كميناً، فقد وعدني أخيل بأن يكف عن القتال إلى أن يحين اليوم الثاني عشر».

وهكذا جمع القوم في تسعة أيام كثيراً من الحطب، وألقوا على الركام جثة هكطور في

اليوم العاشر، وأوقدوا تحتها النيران. ولما احترقت أخمدوا جذوتها بالنبيذ، ثم جمع إخوته وصحبه العظام البيضاء، ووضعوها في قارورة من ذهب، وغطوا هذه بأثواب أرجوانية، ثم جعلوها في تابوت عظيم، وألقوا فوقها حجارة كثيرة العدد، ضخمة الحجم، وشادوا فوق الجميع أكمة هائلة، وكان الحرس يرقبون في كل تلك الأثناء لئلا ينهض الإغريق للفتك بهم، وأقام الملك فريام آخر الأمر وليمة حافلة في قصره. وهكذا دفنوا هكطور مروض الجياد.